التواصل بين الأنا والآخر عند ميرلوبونتي

الأستاذة زبيدة مونية بن ميسي

أستاذة مكلفة بالدروس المدرسة العليا للأساتذة -قسنطينة-

ملخص

من بين الإشكاليات الفلسفية التي شغلت أذهان الباحثين في الحقل الفلسفي منذ القدم مشكلة المعرفة إذ اتخذ الفلاسفة إزاءها مواقف متباينة فمنهم من نادى بأولوية العقل في المعرفة (العقليين و المثاليين) و منهم من أكد على أسبقية الحس (الماديين و الحسيين) و صنف ثالث زواج بينهما (النقديون) و قد انبثقت عن هذه الإشكالية إشكالية أخرى تتمثل في العلاقة بين الذات و العالم أو مشكلة لاتصال بينهما، و ما نتج عنها من مشكلات أنطولوجية و استيمولوجية بقيت مطروحة حتى الفكر المعاصر، و من بين الذين عالجوا هذه الإشكالية نجد الفيلسوف ميرلوبونتي الذي حاول حلها من خلال كيفية التواصل مع الآخر وشروطه، فكيف يتم التواصل بين الأنا والآخر؟

Résumé

D*ans l'expérience du dialogue, il se constitue entre autrui et moi un terrain commun, ma pensée et la sienne ne font qu'un seul tissu, mes propos et ceux de mon interlocuteur sont appelés par l'état de la discussion. Ils s'insèrent dans une opération commune dont aucun de nous n'est le créateur. Il y a là un être à deux, et autrui n'est plus ici pour moi un simple comportement dans mon champ transcendantal, ni d'ailleurs moi dans le sien, nous sommes l'un pour l'autre collaborateur dans une réciprocité parfaite, nos perspectives glissent l'une dans l'autre, nous coexistons à travers un même monde. Dans le dialogue présent, je suis libéré de moi-même, les pensées d'autrui sont bien des pensées siennes, ce n'est pas moi qui les forme, bien que je les saisisse aussitôt nées ou que je les devance, et même, l'objection que me fait l'interlocuteur m'arrache des pensées que je ne savais pas posséder, de sorte que si je lui prête des pensées, il me fait penser en retour. C'est seulement après coup, quand je me suis retiré du dialogue, et m'en souviens que je puis le réintégrer à ma vie, en faire un épisode de mon histoire privée, et qu'autrui rentre dans son absence, ou, dans la mesure où il me reste présent, est senti comme une menace pour moi.*

مقدمة:

من بين الإشكاليات الفلسفية التي شغلت أذهان الباحثين في الحقل الفلسفي منذ القدم مشكلة المعرفة إذ اتخذ الفلاسفة إزاءها مواقف متباينة فمنهم من نادى بأولوية العقل في المعرفة (العقليين
و المثاليين)و منهم من أكد على أسبقية الحس(الماديين و الحسيين) و صنف ثالث زاوج بينهما (النقديون) و قد انبثقت عن هذه الإشكالية إشكالية أخرى تتمثل في العلاقة بين الذات و العالم أو مشكلة الاتصال بينهما ،و ما نتج عنها من مشكلات انطولوجية و ابستيمولوجية بقيت مطروحة حتى الفكر المعاصر ، و من بين الذين عالجوا هذه الإشكالية نجد الفيلسوف ميرلوبونتي (1908-1961)الذي حاول حلها من خلال كيفية التواصل مع الآخر و شروطه.فكيف يتم التواصل بين الأنا و الآخر؟

المحور الأول: ميرلوبونتي بين وجودية الفلسفة وفينومينولوجية المنهج

لا يتسنى لنا معرفة الاتجاه الفلسفي لموريس ميرلوبونتي إلا إذا تطرقنا إلى مساره الفكري, و خاصة أن مؤرخي الفلسفة اعتادوا
على إلحاق هذا الاسم باسم سار تر على أساس أنه من أتباع الوجودية, فهل هو كذلك ؟

ولد موريس ميرلوبونتي سنة1908, درس الفلسفة في chartres ثم في باريس, التحق بالمدرسة العليا للأساتذة حيث تحصل على اعتماد الفلسفة عام 1930, دّرس في الثانوية ثم في المدرسة العليا للأساتذة إلى غاية اندلا ع الحرب العالمية الثانية.

في سنة 1940 و بعد إعفائه من الحرب عّين أستاذا في ثانوية Carnot ثم في ثانويةCondorcet، و في سنة 1944 تحصل على الدكتوراه بمؤلفين مهمين هما:" بنية السلوك "1942 " و فينومينولوجية الإدراك "(1945) و قد لقي هذان الكتابان نجاحا كبيرا حيث عيّن مباشرة في وظيفة أستاذ بكلية الآداب في جامعة ليون و هو المنصب الذي شغله الى غاية 1949 حيث عّين أستاذا في علم النفس.

في سنة 1945 أسس مع جون بول سار تر* و مع سيمون دو بوفوار De Beauvoir** مجلة الأزمنة الحديثة (Les temps modernes) انسحب منها 1951، ثم عيّن أستاذا في كوليج فرنسا (collège de France) نشر بعدها كتاب

علامات(Les signes) و مقالات عديدة نذكر منها: الديالكتيك1945, المعنى و اللامعنى1948, وقد توفي سنة 1961 مخلفا وراءه مجموعة من الكتب و المقالات في السياسة(أزمة الوعي السياسي، حول الماركسية...), الأدب(الرواية و الميتافيزيقا...)، علم النفس (العلاقة مع الآخر عند الطفل...)، علم الاجتماع (الفلسفة و علم الاجتماع)، الفلسفة (1)... ، من خلال الإنتاج المعرفي للفيلسوف ميرلوبونتي نلاحظ تأثره بالوجودية و خاصة سار تر و هيدغر***، بالفينومينولوجية مع هوسرل****، بالمثالية (الجدلية) مع هيغل*****، و بالروحية مع برغسون******(2) تأثر بسارتر بدليل مشاركته في مجلة الأزمنة الحديثة، بالرغم من ذلك فقد كانت لهما مواقف متباينة في الكثير من المسائل كعلاقة الإنسان بالآخر وكذا المسائل السياسية ،أما بالنسبة لهيغل، فقد اهتم ميرلوبونتي بالجدل و اعترف بقيمة المنهج الجدلي إذ رأى بأن الفلسفة في أصلها خبرة معاشة تلتمس فهم ذاتها، و إن كانت بطبيعتها خبرة غامضة لا تخلو من تناقض و تصارع و توتر، كما أكد على أهمية كتاب هيغل "فينومينولوجية الروح" خاصة أنه لاحظ أنه لا يخلو من نزعة وجودية و لهذا حاول الكشف عن بعض العناصر الوجودية في هذه الفلسفة و هذا ما يؤكده مقاله: "الوجودية عند هيغل" الذي نشر

في مجلة الأزمنة الحديثة 1945 (3) ، بينما برغسون فقد بدا تأثر ميرلوبونتي به واضحا إذ كثيرا ما أشار إلى نظرياته في الإدراك و المادة و الذاكرة و الروح، فهما يتفقان في انطلاق كل منهما من ظاهرة سيكولوجية خاصة كخطوة أولى نحو دراسة المشكلات الفلسفية العامة فبرغسون انطلق من العادة وميرلوبونتي من الإدراك الحسي كما أنهما رفضا النظريات الكلاسيكية الديكارتية، المثالية و الواقعية حتى يتسنى لهما تطوير نظرية الإدراك إلى أعلى مستوى (4) ، و هذا لا يعني عدم وجود تعارض في بعض أفكار كل منهما، وبالنسبة لهوسرل فقد أخذ عنه فكرة الفينومينولوجية، و استنبط منها تفكير أصيل موجه نحو دراسة دور المحسوس و الجسم في معرفة العالم (5)،هذا المحسوس الذي هو الفردي إن كان مجرد شيء عرضي إلا أنه يحمل في ذاته صورة أو ماهية لا بد لنا من العمل على إدراكها.

و مما سبق يمكن التأكيد على أن فلسفة ميرلوبونتي فلسفة وجودية أسسها فينومينولوجية و لهذا فقد اعتبر أول من قال بالفينومينولوجية الفرنسية تميزا عن الفينومينولوجية الألمانية الهوسرلية، فهو تيار فلسفي ارتبط تأسيسه باسم ميرلوبونتي، أضفى عليه اسم الفينومينولوجية الوجودية، اعتبر فيها أن المحسوس (sensible) نواة لمعنى الإنسان و وجوده في العالم، المحسوس هو ذاته غير قابل للانفصال عن اللامحسوس، والجسم حقيقة بيولوجية ينظر إليه كمركز وجودي و طريقة للوجود (6)

المحور الثاني: إدراك الجسم عند ميرلوبونتي

لقد وضع ميرلوبونتي المحسوس في مركز كل تساؤل حول الإدراك الذي من خلاله يتم فعل المعرفة، فمن خلال هذا المحسوس تبرز الأشياء للوعي ، فميرلوبونتي سجل علو عالم الحياة على عالم

المعرفة، فلسفته قائمة على أساس رفض الواقعية و المثالية ، فهو يؤاخذ على الأولى كونها تريد وصف العالم في ذاته و منع كل علاقة له مع الوعي و المحسوس،كما نقد الثانية التي تعتبر الوعي

العامل الوحيد لفعل المعرفة (7) لكن العالم الحسي لا يمكن اعتباره مجموعة من مواضيع بل هو عبارة عن نص ، عن نسيج حسي أين تتم هبة الحس الأصلي للكائن ، و ليس من شانه أن ينتظر أحكامنا حتى يميز الظواهر الحقيقية عن الأوهام ، فهو الطبقة الأصلية للتجربة الإنسانية أين الحس يكون قد أُعطى للذات المدركة ، و من جهة أخرى،هذه الذات المدركة الحاسة المفكرة هي أولا ذات مادية (أي عبارة عن جسم) متجسدة في الأشياء التي تقيم معا علاقة قصدية، فالجسم الخالص : جسمي الذي من خلاله يتكون إدراكي بالعالم ، أنا جسمي (8)هذه هي الصياغة الجديدة التي اقترحها ميرلوبونتي للكوجيطو الديكارتي (الذي يفرق بين الجسم و الروح) فهو كوجيطو وجودي يكشف عن وجود الذات في العالم و وجودها مع الآخرين فالجسم ليس فقط شيء من الأشياء لكن له دور في الإدراك ، إذ هو حيّز موجود في العالم ويحتوي على الوعي و بفضله العالم له خاصية مرئية محسوسة .إن الإدراك و الجسم يكونان تجربة الذات، و لهذا العالم ليس ما أتعقله بل ما أحياه، إنني أشارك في

العالم دون أن استوعبه أو امتلكه فالوعي يتعايش مع الجسم (9) و هو يقوم بتوظيف العالم المهدى

من طرف الجسم الذي هو حضور للذات، هو وسيلة للتواصل مع العالم الذي هو نفسه آفاق كامنة في التجربة و وجوده سابق على كل تفكير، لان "أدرك" بالمعنى الكامل للكلمة هو فهم معنى موجود في المحسوس قبل كل حكم.

إذن إن العلاقة بين الإنسان و عالمه إنما هي علاقة مشاركة تقوم على التبادل، و باعتبار العالم الحسي كمادة واقعة بين العقل و الموضوع، فهو الصورة التي تسمح باحتضان مادة الإدراك التي هي في الصميم عودة للأشياء و رجوع إلى تلك المعرفة, فالعالم هو الذي ندركه، هو الوسط الطبيعي الأولي الذي تتجلى فيه أفكاري و تتحقق في نطاقه إدراكاتي، و ليس ثمة إنسان باطني إذ انه موجود في العالم و لا يعرف نفسه إلا داخل هذا العالم, فالعالم إذن هو اللوغوس الأوحد الذي يسبق في وجوده كل شيء.

كما يميز ميرلوبونتي بين المعرفة الجسمية و المعرفة العقلية فيما يخص وجود الأجسام، و يرى أن هناك أسبقية للمعرفة اللمسية(اليدوية) على المعرفة البصرية إذ نحن نتعامل مع الأشياء باليد قبل أن نقيم معها علاقات بصرية و عقلية (10) إن هذه العملية ما فوق التفكير التي تعبر عن اتصالنا الصامت مع الأشياء قبل أن تكون أشياء معبرة و الخروج من عالم الصمت يعني إقامة علاقة مع الآخر و استخدام اللغة في ذلك.

و عن الإدراك يؤكد ميرلوبونتي انه من المستحيل معرفة الشيء كما هو بل يمكن فقط معرفته حسب تجليه للوعي الإنساني، بمعنى أخر الإنسان لا يمكنه إدراك الشيء إلا من خلال الوسائل التي تفرض حدودا للإدراك وبهذا يتميز عن هوسرل برفضه محاولة اختراع عالم مستقل عن الفينومينولوجيا, فبالنسبة لميرلوبونتي الحسي الملموس هو الموضوع المركزي لفلسفة الإدراك، فهو يقول بالوصف الفينومينولوجي كما يرفض فكرة الماهيات لأنها تعبر فقط عن تجربة ناتجة عن احساسات خالصة دون العودة إلى عالم الأشياء الحقيقية ، و هنا نلاحظ انه يلتقي مع برغسون الذي يعتبر الإحساسات ناتجة عن التحليل العقلي كما يرى انه ممن

غير الممكن اعادة بناء تجاربنا الواقعية انطلاقا من وحدات اصطناعية اخذت من الوعي قصدا و عمدا، ان ربط الفكر بالعالم أو كما قال سارتر الوجود و الماهية لا

يمكن ان يتم بالاستنباط بل بالتجربة الحسية و هذا ما اطلق عليه أولية الإدراك (la primauté de la perception) كوسيلة للوصول إلى الواقع (11).

و التصور الذي نعبر به عن الوسط الحسي هو إدراك لعلاقة حسية أصيلة مع الواقع الموجود قبل كل بناء علمي ومن ثم لا يمكن ان يفسر او يوصف من طرف العلوم الطبيعية .

ان حقيقة الواقع تتجاوز وعي الانسان، لكن محاولاتنا لادراك هذا الواقع يتوقف على معنى الوسط المدرك، فحسب ميرلوبونتي وجود الذات في العالم لا يمكن ان يفهم حسب الفهم السطحي للثنائية (ثنائية الذات و العلم) ، هذا الفهم الذي يعرض التجربة الحسية على انها تاثيرات ناتجة في الذهن عن فعل العوامل الفيزيائية خارج الفينومينولوجية (extra phénoménologiques) (12)

نظرية أخرى لها أهمية في الإدراك الحسي عند ميرلوبونتي تتمثل في اللحم (Chair) فهو مميز عن الجسم و هو المكان الذي يتلاحم فيه الجسم المرئي و الجسم الخفي ،إن هذا المفهوم يسمح لميرلوبونتي بان يعرف مزاوجة الذات الفينومينولوجية مع الواقع و اقتراح الصفة التي من خلالها يمكن العالم أن يكون محسوسا بالنسبة للذات.فيقول: إن العالم و أنا يوجد الواحد في الآخر (13)فهو يؤكد أنه لا يمكن الفصل بين الجسم و العالم.

المحور الثالث:الأنا و اللأنا عند ميرلوبونتي

و عند الحديث عن العالم و علاقة الأنا به، تطرق ميرلوبونتي إلى علاقة الانا باللانا و أكد بأنه يرفض ما قاله سارتر أن هذه العلاقة لا تخرج عن النطاق المتمثل في إما إنني اعتبر ذاتا و الآخر موضوعا أو أتعامل مع الآخر على انه ذات بينما أنا أتحول إلى موضوع (14) ففي الواقع انه مادام جسمي ليس مجرد موضوع بالنسبة لي فكذلك بالنسبة لجسم الآخر لا يمكن اعتباره موضوعا ، فلا يمكن للآخر أن يحولني لموضوع ثم ينفيني و بدوري لا يمكنني أن أحوله لموضوع ثم انفيه، و هذا لأنني أشعر أن للآخر جسما مماثلا لجسمي، و أحيانا أشعر أن جسم الآخر قد أضيف إلى جسمي و أصبحا جسما موحدا و هذا نتيجة المشاركة كان نقوم بعمل واحد، مما

يعني أن هناك اتصال بيننا، و لذلك فهو يؤكد على ضرورة الاتصال بين الذوات و المشاركة و المعية،و يقر بفكرة الحضور"حضوري أمام نفسي"و هو الذي يحدد وجودي و يجعل وجود الآخرين ممكنا و من ثم فإن ميرلوبونتي يؤكد على أهمية المعية التي تتحقق بين الذوات(15).

فالأنا عند ميرلوبونتي تتحول إلى الوعي و الموضوع معا أي يلتقي كل من الأنا و الآخر في وجود واحد يشتمل عليهما و يعملان معا باعتبار هما جسما واحدا (16)، فالوعي و الموضوع يتقاطعان لأنهما ينسبان إلى عالم واحد غير محدد و سابق على كل معرفة.

المحور الرابع:الأنا و الآخر و مشكلة التواصل بينهما

إن بين الشيء و الآخر تواصل مستمر و تمييز هما لا يعني أبدا فصلهما ، أنهما في حقيقة الأمر مثل اللحظات المجردة لحاضر أكثر عمقا ، إن هذا النسيج الأصلي المرئي يمكن أن يتبلور في عدة أشكال ، إذ في الواقع لا يوجد شيء منتشر في الخارج مستقل بذاته بل يعرض نمطا بل كيفية تحريك العالم و جعله مرئيا(17).

إن الأشياء تدلني على الآخر و في المقابل هذا الآخر هو نمط عام للعالم فإذا لم يكن هناك عالم الذي يدلنا على ذات فانه في المقابل لا توجد ذات التي ترسم عالما وتدلنا عليه.

يرفض ميرلوبونتي بقوة مبدأ التمييز بين الشيء و الآخر، فهناك علاقة يمكن أن نقول إنها قرابة بين الأشياء كالتي توجد بين الحيوانات و المجانين(18). إن العالم هو لوغوس صامت و على غرار الآخر هو يدلني عن العالم المعطى بطريقة صورية معنوية ، إن التعارض بين إدراك الشيء و تجربة الآخر تم تجاوزه بإيجاد وسط يربط الأول بالثاني و الذي أطلق عليه اسم Einfühlung فالأشياء قبل الآخركانت إن صح التعبير غير موجودة أو لا معنى لها و أكيد أنها لا تلعب دور المخاطب و لذا ضروري وجود الآخر، فقد قام Einfühlung بتقديمها صامتة ليقوم الآخر بترجمتها(19).

إن الكلام و العلاقة بالآخر هما مرتبطان بالمادة (chair) بواسطة التعبير(20) ، إن التخفيف الداخلي للمادة يحتوي بالضرورة على درجات حيث المثالية التعبيرية تهدف إلى أن تصل إلى الرمزية الصورية و هي فكرة عقلية خالصة، مجردة، محايدة تحتفظ بصورة متفاوتة بالجانب الشهواني الجسدي و هنا نشأت إمكانية بل وضرورة اللغة: توجد لغة لان المثالية الخالصة لا توجد دون مادة (chair) و ذلك لأنها تعيش بنياتها الأفاقية،يحدث هذا

و كأن الرؤية التي تنشط العالم الحسي هاجرت ليس فقط خارج كل جسم بل في جسم آخر اقل ثقلا و أكثر شفافية اللغة جسم الكلام (21).

إن تصفية المادة (chair) بنفسها و لنفسها هي عند ميرلوبونتي بمثابة اللغة، اللغة هي بالضرورة كلام ناطق نابع من أجسام ناطقة تخترع لغة تترجم تعبيرية المادة أو ببساطة تعبر عن المادة ليعيشوا طبيعتهم المادية ، وفي ظلام الجسم الخالص و الطبيعة الإنسانية يوجد شعاع ضوء ألا و هو الكلام و بصورة دقيقة العبارة أي ظهور التعبيرية حيث الكلام الإنساني هو صورة مجهزة و معدة .

و بما انه عندما نرى فإنه لا يكفي أن يكون نظرنا مرئيا لX أيا كان بل يجب أن يكون مرئيا لذاته عن

طريق الالتواء أو القلب أو الانعكاس (المرآوي) المعطى على أساس إنني ولدت و عباراتي لها معنى، ليس لأنها تؤسس تنظيما نسقيا سيكشف اللغوي عن أجزائه لكن لان هذا التنظيم مثل النظر يرد إلى ذاته(22).

إن قابلية العكس للدال و المدلول تتطابق بدقة مع قابلية العكس للدال و المرئي (23)، هذا ما أدى إلى نشأة الإدراك،إن الدلالة تعود على نفسها و على وسائلها كالمرئي الذي يدرك النظر الذي اكتشفه و جعله جزءا منه هذا ما جعل اللغة إجرائية قابلة للعكس بين المنطوق و معناه، بين الدال و المدلول، و نعني بقولنا إجرائية قدرتها على مراجعة ذاتها كي تفتح بذلك طريق العالمية بتفاهم الأجسام الناطقة.إن الكلام الداخلي أو الكلام من اجل التفكير: هما وجهان لعملة واحدة، فالكلام الذي يستعمل كلغة للتخاطب،

النوطات الموسيقية ، كل أشكال القواعد ، الآراء المكتسبة الجاهزة هي لم تقطع من الطبيعة الإنسانية (chair) المعبرة فحسب ولكنها تبني نوعا جديدا من

الطبيعة الإنسانية متناسقة و متماسكة و موجهة ، هادفة متعقلة (24) ، أسلوب جديد في التعبير يتصف بالثقل و النسيج الخالص وهذا ما يفسر علاقة اللغة بالثقافة (و هي علاقة شبه فطرية) بالرغم من الخاصية التي تميز الثقافة و المتمثلة في الوضوح و العظمة المكتسبة ، فالرياضي يستخدم رموزا لا ترى بالعين المجردة مثل : "<، > ، = " .

وفيما يخص إدراك الأنا للآخر فقد انتقد ميرلوبونتي الأطروحات التي تقدم بها كل من هوسرل و شيلر، إذ أن الأول احتفظ بمصدر الأنا و لكنه فشل في اعتبار الآخر كمهدم لهذا الأنا أما الثاني فقد قزم الوعي بالذات و جعل وعي الآخر في منزلة الوسط أما ميرلوبونتي فقد عرف الانا مثل الفعل الذي من خلاله يمتد و يضع في البداية مفهوم العبارة: المفهوم الكلاسيكي للغة لا تأخذ بعين الاعتبار ممارستها و هذا يستلزم العبارة كفعل من خلاله يتحقق الوعي. لكن يتساءل ميرلوبونتي ما هي شروط اللغة الرمزية كي تكون قادرة على
التواصل بمعنى: (25).

- الباطنية(داخل الأجسام)
- حركة المعاني كمفتاح لمستويات العقلنة الدقيقة أكثر رمزية (الجبر،الخوارزمية)...

إن اللغة حسب الفيلسوف أجرت نوع من القطيعة، و انطلاقا من أعمال اللغوي الألسني Joseph Vendryès، أشار ميرلوبونتي إلى مفارقة العبارة (expression): هو إجراء يرمي إلى تحطيم ذاته لأنه لا يمكننا أن ندرك التعبير أو العبارة النهائية، إن نفس المبادئ الذي تقر في البداية أنها كلية و عامة تقر لاحقا بأنها ناقصة و عاجزة ، كل لغة هي في أي لحظة خاضعة لاحتياجين متناقضين :(26)

- التعبيرية أو البلاغية
- التماثل و التشابه

و لكي تكون مفهومة يجب أن تقبل عموما، تكون قابلة للتعبير، قوية، مؤقتة حتى لا تكون مألوفة، و غير غامضة أو مبهمة فتعجز عن القيام بدورها .

إن التعبير يخص فقط اللغة و هو الذي يجعل منها نسقا قادرا على أن تشك في ذاتها ثم تتأكد بنفسها من صحتها، تنقص بالمقدار الذي تزيد به ، وعندما نقول شيئا

يجب أن نتأكد من كونه لم يقل من قبل أبدا .إن المعنى اللغوي لا يفهم من الذوات المفكرة بل من الذوات المتكلمة ، فهو حاضر كخاصية أو ميزة الإنسان في حركاته و كتابته .لكن ما هي قواعد العبارة أو التعبير في إطار هذه المقاربة العامة ؟

المحور الخامس: اللغة عند ميرلوبونتي

يؤكد ميرلوبونتي على أن الإشكال المطروح في فينومينولوجية اللغة يبدو من جهة كمشكل قائم

بذاته و من جهة أخرى يشمل كل الإشكاليات بما في ذلك الفلسفة(27). ، ذلك لان اللغة هي شرط كل توضيح و تفسير، تقوم بعملية نقل للقصدية ذات المعنى من المصدر الأصلي المدرك إلى عالم الثقافة و الاتصال بين الذوات .

إن اللغة أو النطق يتشكل من العالم و الذات الصامتة انطلاقا من اللحظة التي يصدر فيها المعنى من التجربة منبثقا من الصفة الجوهرية للشيء و هذا للتمييز بين الماهيات ، أثناء التفكير الصامت نلاحظ بروز ليس فقط ما تعنيه الكلمات و لكن ما تريد الأشياء قوله(28) ، جوهر الدلالة الأوّلي الذي في إطاره تنتظم أفعال المفاهيم و العبارات. إن الحقائق اللغوية تطرح إشكالا وحيدا و مميزا إذ أنها تنفصل عن الأشياء المدركة و تخضع لنسق من العلاقات الداخلية و المتداخلة و لكن أيضا تقوم بإرسال فعل الكلام إلى نقطة البداية، إلى المعنى الذي لا ينطوي أبدا على ذاته، إن الهذيان (irréfléchi) لم يسبق الفلسفة

أو التفكير و لكن التفكير قام بتوضيحه و إخضاعه ذلك لان الإدراك لو اعتمد على ذاته فإنه ينهار و يتجاهل إنجازاته الخاصة.

و من الإشكاليات التي طرحها ميرلوبونتي العلاقة بين الكلام و التاريخ حيث أن التصور الانطولوجي للجانب الداخلي للإنسان – الباطنية- inter corporeity(29) يدفع بالكلام الإنساني إلى تعبيرية عامة مجهولة ، و لا تطلق سراح التفكير إلا من اجل توضيح علاقة الفكر بالنطق من خلال تلازمهما الخاص بالأجسام الشهوانية، أي تاريخ إنساني قاد ر –بالاعتماد على انطولوجيا متحررة من

اللاهوت و كذلك من فلسفة التاريخ بالمعنى "الهيدجري"- على إقامة مسافات جذرية فيما يتعلق بالنفسانية و الانثروبولوجية معتمدة على الانطولوجيا من اجل حل إشكالية الكائن: هل الخيوط اللامرئية التي تربط بين المواضيع والتي هي مصدر الاتفاق أواللاتفاق من خلال اللغة المشتركة التي يتواصلون بها ، تربط شيئا آخر ما عدا الدمى المتحركة كوميديا اللغة أم فقط الطبيعة الإنسانية بنوع من الجدية بالرغم من كونها دمى ؟ (30).

هل توجد على خشبة المسرح كائنات أخرى غير تلك الذائبة في الطبيعة المادية و المنغمسة في أوهام معنى(أو لا معنى) حياتهم ، و إذا بدت الفينومينولوجية كأنطولوجيا هل تكون شيئا آخر أكثر من كونها كلام مصطنع ، حيث الكلام المتبادل يبدو عبارة عن كوميديا مشتركة من اللغة و حيث أن الطبيعة الإنسانية (chair) هي التي تحافظ على الوجود الإنساني ؟ يقول ميرلوبونتي إن الأشياء وجدت و عبرت عن نفسها قبل ان نحلم بها ،هذه الاشياء قيلت من طرف كائن له جسم و لغة لكائن أخر له جسم و لغة كل منهما يريد شد الآخر بواسطة الخيوط الخفية كالتي تحرك الدمى، تجعلها تتكلم ، بل و تفكر في الاخر ، تساعده على أن يكون كما هو و لن يكون ابدا بمفرده.

ان ميرلوبونتي يحاول ان يؤسس لانطولوجيا متحررة من الثنائية : كائن ذات / كائن موضوع (31) من خلال فهم الكائن الأصلي الذي سبق وجود الثنائية ذات / موضوع بالإضافة إلى انه الوسيلة الداخلية الوحيدة التي تربط بين العالم – الطبيعة و بين الأشياء ، و هذا ما يدفعنا إلى البحث عن الفرق بين الموجودات (التجريبية) في العالم الخارجي وبين الذات المفكرة ؟ يجيب ميرلوبونتي . إذا لم تكن هناك باطنية خالصة و إذا كان إحساسنا مندمج في وسط يحتوي على معاني الكلمات ، فان تحديد التجربة تحديدا أبديا لا يمارس سلطة الدلالة إلا من خلال تنظيم لمعاني تم تشكيله دون تدخل اللغة في مستوى الإحساس .

و نفس الشيء اذا كان هناك تفكير دون لغة و إذا كان التفكير لا يتم الا باللغة و اذا كان الكلام هو التفكير كما هو معطى و لا يدرك الا من خلال ما يعطى ، كيف نقول اذن ان التفكير ليس من طبيعة لغوية خالصة و كيف نتحدث عن صمت الوعي فبل اللغة ؟ إذن إن استعمال اللغة يستخدم عدد كبير من أنواع

التفكير غير معاصرة بل لم تكن موجودة و كذلك ليست فكرية خالصة لتجاوز الدال المدلول و هذا ما يفسر وجود سر
غامض في تكوين العبارة و في هذا الإطار وبعد فينومينولوجية الإدراك انصب تفكير ميرلوبونتي على البحث
في علاقة الإدراك بالكلام (الفكر و النطق) ، التجربة الخارجية و الباطنية ، الحسي و المثالي ؟
انه من خلال تكوين الإدراك نلاحظ أن الطفل لا يتسنى له فهم شيئين متشابهين إلا من خلال تمييزهما بكلمة واحدة شفوية .
إن اللغة و الفكر متلازمان بالرغم ان الفهم يسبق اللغة كي يسهل إدراكه و استيعابه هذا الفكر الذي يكون سليما من خلال التعبير اللغوي فهو احد جوانب الذات التي تعبر عن حقيقة واحدة و لذا يجب أن تكون واقعية و هي ليست عرضا عاما خارجيا يصاحب العمليات الذهنية بل تخرج عن الذات و تتجه إلي الغير، هي كلمات ليست مجرد ثوبا للفكر بل مثول الفكر ذاته في صميم العالم المحسوس ، اللغة بالنسبة للفكر هي من

جهة خادمة إذ تتوسط الأشياء و ذاتها و من جهة أخرى هي سيدة لأننا نتحرر من من حكم مسبق بإعطاء اسمه (32).
ان تاريخ اللغة غني بالمعلومات لان اللغة تخضع للصدفة و للحكمة معا إذ لا يوجد نسق تعبيري يتبع خطة معينة و لا يكون مصدر و لبعض المعطيات العرضية و لكن أيضا يصبح أداة لغوية ، دون أن تمدها بقيمة الطريقة الجديدة في الكلام و تعاملها كقاعدة مستقبلية تطبق على قطاع الإشارات ، و من ماهية البناء

اللغوي تغيير أسلوب التعبير المعطى ، و لا يكون نهائيا ، و لذا إذا مر وقت و تعود اللسان عليه يجب أن يحذف و يترك المكان لمتغير آخر قادر على التعبير و على إثارة الانتباه(33) و هذا ما يجعل اللغة خاضعة لتغييرات متتالية مما يجعلها قادرة على التعبير أفضل و لذلك هي في تطور مستمر.
إن قيمة اللغة و قوتها في التعبير،و التمييز بين الأشياء و حديثها عن التجارب الجديدة يؤدي إلى استقرارها و كذلك إلى قدرتها على التغير .إن تفوق اللغة يماثل تفوق التاريخ

المصنوع من الإنسان المتعالي ، و بالنسبة للحياة الإدراكية تتحقق أصالة المعرفة و التواصل مع الآخر ، هي أصالة مستمرة تحافظ على الحياة
الإدراكية و لكن تقوم بتحويلها لا عن طريق حذف المجسد بل إعلائه، إن الإجراء الذي يميز العقل يتمثل في الحركة التي من خلالها نعبر عن وجودنا الواقعي بالرموز عوضا ان نعايش الواقع فقط ، إن اللغة كظاهرة ثقافية لا طبيعية تؤسس لأصالة العالم اللغوي أو الثقافي بالنسبة للعالم المدرك حيث إدراك الذات هو المسيطر (ذات مدركة ، ذات متكلمة، ذات لغوية) و عموما إن اللغة هي انعكاس الذات على العالم المدرك و لم تؤسس أبدا من طرف الذات ، فالكلام يسبق الذات المتكلمة ، كما انه لا يمكن أن نفصله عن العبارات التي قيلت من قبل ، فهو ظاهرة تاريخية بمعنى الكلمة كما يجب أن تكون الذات المتكلمة بالنسبة لنفسها ذات اخرى تعيش باللغة و من خلال اللغة .

إن اللسانيات المعاصرة أكدت على أن اللغة نظام لغوي متزامن و ليس نتاج الذوات المتكلمة، فهي موجودة في الخارج يتكلمها الناس ، و يؤكد ميرلوبونتي أنها غير موجودة في أي واحد منهم و هنا يظهر تأثره بدي سوسير و كذا جوستاف قيوم (Gustave Guillaume) و كلهم يتفقون على ان المترجم مشروع أساسي و موضوع خفي يحقق توازن اللغة. إن الكلام يجعلني متعالية كذات لأنه معطى ثقافي يجب على كل ذات أن تستوعبه من اجل التعبير

التهميش :

* سارتر:فيلسوف فرنسي ، صحافي ،أديب ، رومانسي فرنسي (1905-1980) و هو مؤسس الفلسفة الوجودية ، درس في المدرسة العليا للأساتذة مع "ريموند آرون ، دي بوفوار، جورج كونغيلم ، ميرلوبونتي " من كتاباته : الغثيان(1938) ، الجدار(1939)، الوجود و العدم(1943) ، نقد العقل الجدلي (1958).

**سيمون دو بوفوار:أديبة فرنسية (1908- 1986) لعبت دورا كبيرا في الحركة النسوية من مؤلفاتها : الزائر 1943 ،كل الناس ميتون 1946 ، دم

الآخرين 1945 و غيرها من الإبداعات ، و نشير إلى أنها كانت صديقة حميمة لسارتر و شاركت معه في مجلة الأزمنة الحديثة .

***هيدغر: فيلسوف ألماني (1889-1976)من بين ما نشر للقراء : الزمن و الكائن(1927).

****هوسرل ادموند: فيلسوف و رياضي ألماني(1859-1938) مؤسس الفينومينولوجية من كتبه : الفلسفة و الجبر(1891) , أبحاث منطقية (1901) ، أزمة العلوم الاوروبية و الفينومينولوجية المتعالية (1931).

*****هيغل: فيلسوف مثالي ألماني (1770-1831)من مؤلفاته: تاريخ الفلسفة(1836) ، فلسفة الدين(1832) ، فلسفة التاريخ(1837)، فلسفة الحق (1821)، فينومينولوجية الروح و مذهبه الفلسفي قائم على الجدل.

****** برغسون :فيلسوف فرنسي (1859-1941)، تحصل على جائزة نوبل في الأدب تزامنت ظهور فلسفته مع الكانطية الجديدة و الوضعية، من مؤلفاته: بحث في المعطيات المباشرة للوعي1889، مادة و ذاكرة 1896التطور المبدع 1907 ، اهتم كثيرا بالإحساس و الإدراك و الوعي .

(1) Données encyclopédiques, copyright © 2001 Hachette Multimédia / Hachette Livre)

(2) Cf. J. Russ, Les chemins de la pensée p. 496-497

(3) OPCIT Données encyclopédiques, copyright ©

(4) Pantagruelle geo@yahoo.com Existentialists: Maurice Merleau-Ponty c.1997

(5) زكرياء ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة . دار مصر للطباعة ص 509

(6) Pantagruelle geo@yahoo.com Existentialists: Maurice Merleau-Ponty c.1997

(7) Merleau Ponty Maurice : Phenomenologie de la perception Gallimart Paris 1945 p 80

(8) Encyclopédie Accueil Maurice Merleau-Ponty

(9) hachette encyclopedie 2001

(10) Merleau Ponty Maurice:le visible et l'invisible

Gallimart Paris 1962 p 197

(11) Existentialists: Maurice Merleau-Ponty c.1997 (11) (12) ibid

(13) Existentialists:Maurice Merleau-

Ponty c.1997

(14) جان قال : الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر ترجمة فؤاد كامل دار الثقافة للنشر و التوزيع ص165

(15) دراسات في الفلسفة المعاصرة مرجع سابق ص 519

16) le visible et l `invisible ibid p269

Merleau-Ponty, Le Visible et lInvisible, Paris, Gallimard p.

(17) 234

(18) ibid 234

(19) Ibid 44

(20) Ibid. p 192

Conférence de F. Dastur. A l'Université de Paris XII avril

(21)1997

(22) Merleau-Ponty, Le Visible et lInvisible, p. 201

(23) Ibid. p 202

(24) Ibid. p 201

Y. Thierry, devant ces pages sur la chair du dernier passage

(25)de VI

parle de pensées inouïes, Du corps parlant,

Bruxelles,

1987 p 81

Merleau-Ponty, La Prose du monde, Paris, Gallimard, 1969,

(26)p. 51

(27) Merleau-Ponty, Signes, Paris, Gallimard, 1960, p. 116 .

(28) Merleau-Ponty Phénoménologie de la perception,

Paris, Gallimard,1945 Merleau-Ponty, La Prose du monde

(29) Paris Gallimard 1969 p. 51

(30) Préface de Signes p. 27

(31) Y. Thierry opcit p1731

(32) Y. Thierry opcit 14

Merleau-Ponty, Phénoménologie de la perception, p. 221

(33)